تعريف ونقد

"لسان العرب" وكنز العربية
في تحقيق وإخراج جديد
للأستاذ محمد عبد الغني حسن

حين أصدر الأديب الناقد البريطاني الكبير : « صمويل جونسون » في سنة ١٧٥٥ م معجمه المشهور في اللغة الإنجليزية ، مبتدئا تدوين ألفاظها المستعملة منذ عصر الملكة اليزابيث . سنة ١٥٥٠م حتى عصره . . عد عمله هذا ريادة عظيمة في الأدب الإنجليزي وأثنى عليه اللورد « تشستر فيلد » في مقالتين مشهورتين في الفكر البريطاني ، مع أن هذا المعجم لم يزد حجمه على مجلدين اثنين

فماذا نقول نحن العرب وقد صنف « جمال الدين بن مكرم » — المعروف بابن منظور — في القرن الثامن الهجري : الرابع عشر الميلادي ، معجمه اللغوي الثمين : (لسان العرب) قبل معجم «جونسون» الإنجليزي بأربعة قرون ؟ وماذا نقول أيضا إذا عرفنا أن معجم (لسان العرب) قد بلغ حجمه عشرين مجلدا ضخما ؟ وأنه جمع فيه ألفاظ اللغة العربية منذ العصر الجاهلي حتى وقته ، وأنه حشد فيه للاستشهاد اللغوي كثيرا من آيات القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، والشعر العربي الذي يستشهد به على صحة المعاني التي أراد تسجيلها في معجمه ، حتى بلغت عدة الأبيات والأراجيز فيه ألوفا ، وبلغت عدة الشعراء والرجازين فيه بضع مئات ألفت فيهم الدراسات المعاصرة ؟ .

الحق أنه يحق لنا — لو يقام معرض للفخار — أن نفخر بعمل « ابن منظور » العظيم الواسع في خدمة لغة الضاد ، وتقييد شواردها وأوابدها وكل لفظة فيها ، منذ أيام إمرىء القيس ، والنابغة ، وزهير ، وقس بن ساعدة ، وأكثم بن صيفي ، والحجاج وغيرهم ، إلى زمان المصنف

ولم يكن عجيبا على صاحب « اللسان » أن ينتج مثل هذا العمل الكبير ، فقد شارك الرجل في تزويد المكتبة العربية بحوالى خمسمائة كتاب من وضعه ، ما بين مؤلف ومختصر ومهذب ... والحق أن « ابن منظور » كان مولعا باختصار كتب غيره وتلخيصها وتهذيبها ، قدر اهتمامه وولوعه بالتأليف ، فقد اختصر كتاب «الأغاني» المشهور للأصفهاني

واختصر « الذخيرة » لابن بسام واختصر « تاريخ دمشق » لابن عساكر ، واختصر « تاريخ بغداد » للسمعانى ، واختصر « العقد الفريد » لابن عبد ربه . واختصر « يتيمة الدهر » للثعالبى . . . ولن نحصر هنا — فى مجال ضيق كل مختصراته النفيسة لكتب سابقيه .

وبارك الله فى عمر « ابن منظور » الذى زاد على ثمانين عاما ، فاستغل طول عمره كما استغل جمال خطه ، وقلة هموم حياته فى نسخ كتب السابقين عليه . ومن هنا كانت حياته إقامة سعيدة وصحبة مباركة للكتب : إما نسخا أو اختصارا أو تأليفا .

وقد رزق معجم « لسان العرب » على الرغم من ضخامة حجمه او انبساط مداه بعض الحظ فى إعادة طبعه منذ طبعته الأولى على مطابع بولاق الأميرية سنة ١٨٨٢ وفى تلك الطبعة ظهر جهد جيل من المصححين والمحققين بعد جهد المصحح الرائد الشيخ نصر الهورينى .

وفى سنة ١٩٥٥ م أعادت طبعه دار صادر وبيروت ، فأصدرته فى خمسة وستين جزءا تحتوى كل صفحة نهرين — أو عمودين — كبيرين . وهى طبعة مبينة ، إلا أنها لم تبلغ الكمال المنشود .

وجاءت المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر بعد ذلك بسنوات فنشرت « اللسان » مصورا عن طبعة بولاق الأولى . فلم يخرج هذا الصنيع عن كونه تكرارا لعمل قديم .

وقبل طبعة صادر وبيروت — وفى سنة ١٩٣٦ بالضبط — حاول أديب ناشر مصرى — هو الأستاذ عبد الله اسماعيل الصاوى — أول محاولة لإصدار « لسان العرب » ؛ على ترتيب الأحرف الهجائية فى أوائل الكلمات ، لا فى أواخرها كما هى طريقة اللسان . ونجحت المحاولة العصرية التى جعلت لفظة (أكل) و(أرم) و(بذل) و(حقن) تأتى فى الأجزاء الأولى بدلا من مجيئها — على الطريقة القديمة — فى الأجزاء الأخيرة . وقد صدر من هذه الطبعة المرتبة ترتيبا جديدا خمسة أجزاء صغار ، ثم حالت ظروف خاصة دون إكمال ذلك العمل ، والمضى « بلسان العرب » إلى نهايته .

ومن سنوات معدودة أصدرت « دار لسان العرب » ؛ ببيروت طبعة جديدة رتبت المواد اللغوية فيها الترتيب الجديد على حروف الهجاء ، وتحتوى كل صفحة على ثلاثة أنهر . وصدرت هذه الطبعة فى ثلاثة مجلدات ضخام ، وقد ألحق بذيل كل مجلد ثبت بمصطلحات العلوم والفنون .

وجاءت « دار المعارف » أخيرا بمصر منذ سنتين ، فتصدت لإصدار « لسان العرب » على صورة جديدة ، وبمنهج

جديدا ، وتحقيق وتعقيب جديدين فعمدت إلى ضبطه كله بالشكل الكامل مع ما فى ذلك من عناء — تحقيقا للسلامة اللغوية ، ورتبته وفق الحروف الهجائية لأوائل الكلمات لا أواخرها ، جريا على طريقة المعاجم الحديثة ، وأضافت إلى متن الكتاب هوامش حافلة بالتحقيق ، والمقابلة والاستدراك ، والتنبيه على ما وقع فى الطبعات السابقة من أخطاء وحرصت على استكمال كثير من النقص ، وتصحيح الخطأ وملء البياض الذى وجد فى الذى ظهر من طبعات ، وعمدت إلى مقابلة النسخة المعتمدة أصلا على المصادر التى استقى منها « ابن منظور » مادة معجمه ، وعلى دواوين الشعر الذى استشهد به صاحب « اللسان » .

والحق أن ذلك كله عمل يأخذ من الجهد والمراجعة وإدامة النظر فى المراجع والمصادر ، والمظان وغيرها مالا يقوى عليه إلا القادرون ، ولا يعرفه إلا المكابدون . ومن هنا عمدت دار المعارف إلى ثلاثة من الرجال ملأهم الله همة ، وعزما ، وصبرا على البحث ، وطول نظر فى المصادر ، وكثرة تقليب للدفاتر ، وإصرارا على تنفيذ الغاية ، وبلوغ النهاية . كما رزقهم الله « الشك » فى كل كلمة « والتوقف » عند كل لفظة . وقد رأيتهم بعينى فى محراب من محاريب « دار المعارف » عاكفين على عملهم ، مكبين على أوراقهم ، لا يشغلهم شاغل ولا يحول دون إنجازاتهم حائل ، وهم الأساتذة : عبد الله على الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلى . وقد طبعت أسماؤهم على أولى صفحات اللسان ، تسجيلا لفضلهم وتخليدا لذكرهم وعلى الرغم مما بذله هؤلاء المحققون من جهد فى التحقيق والتصحيح وإكمال النقص والضبط — مستعينين فى ذلك باجتهاداتهم الخاصة ، وبقراءاتهم الدائمة ، وبمتابعاتهم لتصحيحات المرحوم أحمد تيمور باشا التى نشرها محمد عبد الجواد الأصمعى ، وتصحيحات زميلنا المجمعى الأستاذ عبد السلام محمد هارون — على الرغم من ذلك وقعت فى هذه الطبعة الجليلة أوهام . كنا نود لو خلصت منها ، وتنزهت عنها ، ولكنها جاءت دليلا على جملة النقص فى البشر ، وشاهدا جديدا يتجدد على أن العصمة لله وحده .

ومن توقفاتى واستدراكاتى على هذه الطبعة بعض نماذج وقفت عندها ولم أشأ حصرها ، فإن ذلك قد يبعد هذه الكلمة عن غرضها وينئيها عن قصدها ولكنها أمثلة لا أود — بحال — أن تشين هذا الوجه الجميل ، لهذا العمل الأدبى اللغوى الجليل :

* جاء فى صفحة ٢٥٨٥ اسم أوس بن حُجْر بضم الحاء ، وسكون الجيم ، وهو خطأ

والصواب : حَجَرٌ بفتحتين (انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة) وتبصير المنتبه لابن حجر ص ١-٤١٢، والأعلام للزركلى).

جاء فى صفحة ٢٥٢٤ (وهو أصوار) على وزن أفعال وهـو خطأ وصوابه : (أصور) على وزن أفعل أى مائل العنق . فالألف زائدة . وأرجو أن تكون من أخطاء الطبع .

جاء فى صفحة ٢٥١٨ هذا البيت الآتى مشكولا هكذا : —

فأقسمتُ لا أحْتلُّ إلاَّ بصَهْوَةٍ
حرامٍ عَلَىَّ رَمْلُهُ وَشَقَائِقُهْ

بضبط الميم من (حرام) بكسرتين على توهم أنها صفة لصهوة . وهو خطأ بين فهى يجب أن تضبط بالرفع : أى بضمتين ، على أنها خبر للمبتدأ : رمله ، أوأنها مبتدأ خبره ما بعده .

جاء فى صفحة ٢٢٩٢ هذا البيت التالى مضبوطا بالشكل هكذا :

تهوَى حياتى وأهوَى موتهَا شَفَقاً
والموتُ أكرم نُزَّال على الحُرَم

بضم النون من كلمة (نزال) ، على توهم أنها جمع ، والصواب أنها (نزال) بفتح النون لأنها صيغة مبالغة من الفعل (نزل) وليست جمعا لنازل .

فى صفحة ٢٢٥٢ ورد بيت الشاعر «القطامى» هكذا :

لُعِنَّ الكواعِبُ بَعْدَ يوم وَصَلْتنى
بشرى الفرات وبعد يوم الجوسَق

بتاء المخاطب ونون فى الفعل : (وصلتنى) والأصح والأنسب : «وصلتنى» بنون النسوة وبعدها نون الوقاية . وكان يجب إثبات هذه القراءة فى الأصل .

جاء فى صفحة ٣١٥٢ اسم عبد الله ابن الزَّبير[1] الشاعر الأسدى بفتح الزاى مع « ال » التعريف وقد جاء هذا الاسم فى «طبقات» الشعراء لابن سلام بدون (ال) كما جاء فى « حماسة أبى تمام » وفى « تبصير المنتبه » بال . . . فليت المحققين للسان العرب أثبتوا هذا الفرق وحققوه .

ورد فى صفحة ٢٣٠٢ هذه العبارة : (وأنشد لعمرو بو ملقط)، فمن هو (بو ملقط هذا ؟) أهو مغربى ؟ لا : إنه شاعر جاهلى ، وصواب اسمه : عمرو بن ملقط ويكشف عنه فى بعض كتب الطبقات والتراجم تحت اسم عمرو بن ثعلبة .

فى صفحة ٢٥٢٠ كان يجب على المحققين الوقوف عند بيت :

أظلوم إن مصابكم رجلاً
أهدى السلام تحية ظالم

---

(١) هو بالطبع غير « عبد الله بن الزبير » — بضم الزاى الذى بويع بالخلافة سنة ٦٤ هـ بعد موت يزيد بن معاوية.

والإشارة إلى أنه من شواهد النحو على إعمال المصدر عمل الفعل والإشارة كذلك إلى أن ابن هشام النحوى قد جارى «الحريرى» خطأ فى نسبة البيت إلى الشاعر «العرجى» مع أنه للحارث بن خالد المخزومى ، كما نبه على ذلك «ابن برى» فى حواشيه .

* جاء فى صفحة ٢٣٠٦ الشطر الآتى محكياً على لسان « الشاعر » ، والحق أن الشطر المحكى وهو : (ومن عضة ما ينبتنّ شكيرها) هو مثل عربى قديم أورده « أبو هلال العسكرى » فى جمهرته ، كما أورده الميدانى فى « مجمع الأمثال » ، وإن كان ابن سلمة لم يورده فى كتابه « الفاخر » . ولفظ المثل : (فى عضة ما ينبتن شكيرها) وقد جاء عند الميدانى فى باب الفاء . ويضرب فى شبه الولد بأبيه .

* فى صفحة ٢٤٤٦ جاء شطر لبيت من شعر حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو : (يبارين الأعنه مصعدات) . وكنت أود من المحققين إكمال البيت كله فى تعليقهم بالهامش كعادتهم فى إيراد أنصاف الأبيات ، إفادة للقارىء ، وطرداً للباب على نسق واحد والبيت هو :

يبارين الأعنة مصعدات
على أكتافها الأسل الظماء

* فى صفحة ٢٢٤٦ ماعزى إلى ابن الأثير صاحب « النهاية » من أنه ذكر سورة « المؤمن » بدلا من سورة « المؤمنون » غير صحيح . فالحق أن ابن الأثير ذكر (المؤمنون) ، ولكن النساخ حرفوها إلى « المؤمن » . وفرق بين السورتين . (انظر النهاية ج ٢ — ٤٦٥) .

صفحة ٢٢٥٧ جاء قول صاحب اللسان : (وربما زادوا فى الشسع نوناً ، وأنشد :

أحدو بها منقطعاً شسعنى

فأدخل النون) . وكان يجب على المحققين الأفاضل التنبه والتنبيه فى الهامش — كعادتهم — على أن النون الزائدة هنا مشددة لا مخففة ، ولو كانت مخففة لخففت قبل ياء المتكلم .

* جاء فى صفحة ١٩١٢ بيت الشاعر ابن الأحمر مضبوطاً بالشكل هكذا :

فكُنّا وهمُ كابنى سبات تفرقا
سوَى ثم كانا مُنجداً وتهامياً

بضم الميم من الضمير (وهم) . وهذا خطأ فى الضبط يكسر وزن البيت ، والصواب إسكانها .

* جاء فى هامش صفحة ٢٩٤٨ هذا الشطر : (مرسعة وسط أفارغة) ، وهو خطأ أظنه جاء من منضد الحروف بالمطبعة تقديماً وتأخيراً والصواب : « أرفاغه » جمع رَفْغ

* ورد فى صفحة ١٨٥٥ هذا البيت الآتى لشاعر قديم غير معروف :

يتقارضون إذا التقوا فى موطن
نظرا يزيل مواطن الأقدام

ورواية (يزيل) هنا غير مناسبة ولامقبولة ولو أنها جاءت هكذا فى « شرح الحماسة» للمرزوقى ، وفى « البيان والتبيين » للجاحظ و « الصناعتين » لأبى هلال . وأفضّل عليهن رواية نسخة كوبريلى المخطوطة من « بيان » الجاحظ ، وهى : (يُزُلّ) من الفعل : أزلّ ، لامن الفعل : أزال . وبعد ! فقد رأيت من الوفاء « للسان العرب» ؛ فى طبعته الجديدة الرائعة ، ومن البر للقوم الذين أصدروه ، وللثلاثة الذين حققوه ، أن أخص به هذا الفصل تعريفاً سريعاً به ، وعرضاً وجيزاً له ؛ وتحية لمعجم عربى جامع ، وكنز لغوى ثمين ، رأى القائمون على أمر نشره فى دار كبيرة أن يصدروه فى ثوب يلائمه ، وفى حلة من التحقيق تليق به ، كما رأى القائمون على النشر فى دار بريطانية كبيرة أن يعيدوا إصدار معجم « صمويل جونسون» للغة الإنجليزية فى بزة جديدة ، وفى هذه الأيام بالذات ، وصلاً ما بين ما ضى التراث وحاضره ، ومداً لسلسلة الفكر الإنسانى الخالد على توالى العصور .

محمد عبد الغنى حسن

عضو المجمع